ثلاث رسائل إسماعيلية

تحقيق

د. عارف تامر

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت




ثلاث رسائل
اسماعيلية



تصميم الغلاف :
نجدت قلعجي

ثلاث رسائل اسماعيلية

تحقيق

د. عارف تامر

مؤسسة دار الآفاق الجديدة بيروت



الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

الرسالة الأولى

تحفة المستجيبين

تأليف

أبي يعقوب اسحق
السجستاني

المؤلف:

هو: أبو يعقوب اسحق السجستاني... كان داعياً مطلقاً للاسماعيلية في اقليم «بُخارى» بفارس في منتصف القرن الثالث للهجرة اي في عهد خلافة «المعز لدين الله الفاطمي».

ظهر أثره العلمي في تلميذه «أحمد حميد الدين الكرماني» الذي سار على نهجه، ودعا الى التمسك بتعاليمه، ويكفي أن يكون الكرماني تلميذاً للسجستاني، لنضع هذا الأخير في المرتبة الأولى بين المفكرين الاسلاميين وعلمائها، او في صف فلاسفة العالم المشهورين.

ينُسب الى «سجستان» وهي مقاطعة في جنوبي «خرسان»، وينحدر من أُسرة فارسية ذُكر انها تنتسب الى القائد الفارسي المشهور «رستم» ... ولا نجزم بصحة هذا القول.

عاصر الدولة الفاطمية في عهد الظهور، بالرغم من أنه عاش في بلاد يتمذهب اهلها بمذهب «السنّة» فكان عليه أن يتخذ «التقية» ويحذر أشد الحذر في تحركاته وأقواله ودعوته، ومن هنا لم نصل الى معرفة سيرة حياته، أو نقف على كل شيء منها .... ومثله مثل العديد من الفلاسفة الاسماعيليين الذين اكتنف حياتهم الغموض، بسبب فقدان مؤلفاتهم التي دونوا فيها تاريخ حياتهم.

يذهب المستشرقان «ماسنيون» و«ايڤانوف» الى القول انه مات سنة ۳۳۱ هـ. ولكنني اخالفهما في ذلك، فالمعروف عن السجستاني انه كان استاذاً «للكرماني»، «والكرماني» ظلّ حياً حتى سنة ٤١١ هـ. إذن متى اخذ الكرماني عنه علوم الدعوة؟ وهناك نصٌّ صريح في كتاب

«الافتخار» «للسجستاني» يذكر فيه: أنه وضعه سنة ٣٦٠ هـ، وقد ورد ذكر كتاب «الافتخار» في كتاب «الرياض»[١] للكرماني نفسه، والمعنى أن «الكرماني» وضع كتاب «الرياض» بعد كتاب الافتخار أي سنة (٣٦٠ هـ) وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه بأن «السجستاني» كان داعياً مطلقاً في «بخارى» بعهد خلافة «المعز لدين الله» أي أنه كان معاصراً «لجعفر بن منصور اليمن» و«للنعمان بن حيون المغربي» وغيرهما من كبار الدعاة في ذلك العصرالعلمي الزاهر، وليس أدل على ذلك الا الانتاج الغزير، والمؤلفات التي تركها بعده.

المصادر التاريخية اجمعت على أنه مات قتلاً بأيدي بعض المتحمسين من اعدائه. أما مؤلفاته التي جاء على ذكرها «ابن مجدوع» فهذه أسماؤها:

١ - «أسس الدعوة» ٢ - «كشف[٢] المحجوب» ٣ - «تأويل الشرائع» ٤ - «سوس النعم» او «سوسن البقاء» ٥ - «الرسالة الباهرة» (وهذه الكتب ذكرها «البيروني») وجاء على ذكرها «البغدادي» في كتابه «الفرق بين الفرق» كما ذكرها الشاعر والفيلسوف الاسماعيلي الفارسي «ناصر خسرو» في كتابه «زاد المسافرين».

وللسجستاني كتب اخرى لم يذكرها البيروني ولا البغدادي اهمها: «الافتخار» وهو مقسم الى سبعة عشر باباً، و«إثبات النبوءات»[٣] وهو مقسم الى سبع مقالات وكل مقالة مقسمة الى اثني

---

(١) كتاب «الرياض» للكرماني حققه الدكتور عارف تامر سنة ١٩٦٠، وطبعته دار الثقافة، بيروت - لبنان.

(٢) «كشف المحجوب» كتبه السجستاني باللغة الفارسية، وقد حققه وترجمه الى الفرنسية المستشرق «هنري كوربان» عام ١٩٤٩.

(٣) «اثبات النبوءات» حققه عارف تامر، وأخرجته المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان عام ١٩٦٥.

عشر فصلاً، «والموازين» وهو مقسم الى تسعة عشر ميزاناً، «والينابيع»[1] وهو مقسم الى اربعين ينبوعاً، و«سلم النجاة»، و«النصرة» و«المقاليد في معنى الاسر» ... وهذا الكتاب قد فقد غير اننا نجد بعض الاقتباسات منه في مجموعة الفيلسوف اليمني «الحسن بن نوح» المعروفة بكتاب «الازهار» وله ايضاً: «مسليات الاحزان» و«اسرار المعاد والمعاش» و«المواعظ في الاخلاق» و«الغريب في معنى الاكسير» و«مؤنس القلوب» و «تأليف الارواح» و«الأمن من الحيرة» و«خزائن الادلة» و«البرهان»... وهذا الكتاب على جانب كبير من الاهمية، وتبذل الآن جهود جبارة لتحقيقه ونشره.

قيمة الرسالة الفلسفية:

«تحفة المستجيبين» قطعة ادبية رائعة موجزة معبرة، او قل عنها قصيدة نثرية زاخرة بروائع الحكمة وحقائق العلم، وقد وضعت باسلوب سهل شيق خالٍ من كل اثر للتعقيد ... والحقيقة فهي: أقوم وأسهل رسالة اسماعيلية وقعت عليها حتى الآن، من هنا نوهت باهميتها العلمية، وخاصة لطبقة المستجيبين والطلاب الذين تهمهم مثل هذه الدراسات العلمية التي ظلت حقبة طويلة مدفونة في كهوف الازمنة.

وأخيراً: لا بد من القول بأن الرسالة وجدت في بلدة «القدموس» السورية، وهي من مخطوطات مشائخ «آل سليمان» المعروفة... والغريب ان اسمها لم يدرج في عداد مؤلفات السجستاني، كما لم يذكرها المستشرق «وايفانوف» في كتابه «الدليل الى الآداب الاسماعيلية» وكل هذا معناه انها فريدة ونادرة.

---

(١) «الينابيع» حققه وطبعه في طهران المستشرق «هنري كوربان» عن نسخة ارسلتها اليه عام ١٩٥٩.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل حدوده وسائط بينه وبين خلقه، وجعل لكل حد من حدوده نصيباً من كلمته، ليكون له القدرة على ما اسند اليه من أسباب الفطرة، وحظر على كل منهم التوجه الى مرتبة من هو فوقه، حتى يصل الى أسباب الأحوال بالافادة والاستفادة... ليكون نور المفيد منحطّاً الى المستفيد، وشوق المستفيد صاعداً نحو المفيد، وفرض على جميع الحدود أن ينزهوه عن سماة المربوبين، ويقدسوه عن صفات المخلوقين ... له الاسماء الحسنى، والمثل الاعلى في السموات والارض، وهو العزيز الحكيم ... وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين... الصادق الأمين ...وعلى وصيه خير الوصيين ...وعلى آله الطيبين، وعترته الطاهرين ...وسلّم تسليماً كبيراً الى يوم الدين.

أمّا بعد... فإن الأسامي إنمّا وضعت للمعاني مضمنة تحتها، ليوقف فيها على تأدية المعاني من الاغراض اللاحقة بها. فمتى وقف المرتاد على المعاني وأغراضها، سهل عليه حفظ الاسامي، والتذّ سمعه بما يرد عليه منها، - ويثبت في قلبه الإقرار بها، ومتى اكتفى المرتاد من الاسامي بالسمع دون اصابة المعاني، والاحاطة باعراضها، سهل على المعاند افسادها عليه، وقلعها منه.

فجعلت هذه التحفة «تحفة المستجيبين» مشتملة على المعاني المضمنة تحت الاسامي، وبيّنت اغراضها اللاحقة بها، وجعلت الابانة عنها مقرونة بالالفاظ السهلة، وتوخيت فيها الايجاز والاختصار... ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وبركة «ولي الله» في أرضه صاحب التاج الأزهر، والضياء الأنور ... صلوات الله عليه، وعلى ابائه الطاهرين، وأبنائه الاكرمين، واتباعه الفائزين... والحمد لله رب العالمين.

إن معنى اسم «الباري» جلّ وعلا...هو الخالق المبدع القاهر الذي ابدع جميع الخلقة، ولم يغرب عن ابداعه وتدبيره مثقال ذرة في السموات والأرض، ولم يشاركه في هذه القدرة حدٌّ من حدوده، لأن جميع حدوده مرئية بين المخلوقين... وهو ربهم وخالقهم... ليس كمثله شيء في الابتداء والتخليق والابداع، وهو السميع البصير.

ثم «الأمر» وهو القادر على التخليق لامن شيء هو مادته، ولا بشيء هو آلته ولا مع شيء هو معينه، ولا مثل شيء هو شبيهه، ولا لشيء هو ذو حاجة اليه... قصرت الأوهام عن اضافة هذه الأشياء الا الى أمره... الذي اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وقد جرت بذكر الأمر آيات كثيرة في القرآن المجيد... مثل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ وقوله:

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وٱلأَرضَ في ستَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرشِ يُغْشِي ٱللَيلَ ٱلنَهارَ يَطْلُبُهُ حَثيثاً وٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وٱلنُّجومَ مُسخَّراتٍ بِأَمْرِهِ ألا لَهُ ٱلخَلْقُ والأمرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَلمينَ.﴾

ويسمَّى أمر الله تعالى بأسماء كثيرة منها:

«العلم والكلمة والوحدة» فمعنى أسم العلم الواقع على امره، وبيان ذلك ان امر الله لم يخالف علمه، ولا علمه يخالف امره، ولا وقع بين ما علم من كيفية ابداع المبدعات، وبين ما أمر فعل البينونة... كما يقع بين أوامر من دون المبدع، وبين علومهم من العقل... فقد تكون اوامرهم متأخرة عن علومهم حتى من أجلها أمر بما أمر..

ومعنى اسم «الكلمة» الواقع على أمره...لأنَّ الكلمة ممّاً تحمل على الاسم ليكون به قولاً مؤلفاً من أسم وكلمة... فلمّا وضعت الكلمة بمعنى امر المبدع، أمر المبدع جلَّ جلاله أن تلحق بأمره كلمته، كما تلحق بما

دونه من المبدعين... والمعنى أن الكلمة لا تتعدّى الى ما فوق أمره، بل حلّت محل أمره، وتوجهت على من اتّحد أمره به وهو «السابق» والمراد بالسابق «العقل» ومن دونه لم تنفصل الكلمة في باب التوجه، فيلحق - بكل مُبدَعٍ من الكلمة على مقدار شرفه وسبقه وصفوته، وعلى مقدار صنعته واتقانه.

«والوحدة» معناها الواقع على أمره.... وبيان ذلك أنّ الله مقدر التوحيد الذي منه انبعاث الواحد المتعالي عن سمات البريّة، ومظهر المبتدعات المستغني عن مشاركة قوة اخرى معه...فهو وحدته خرجت الاشياء منه دفعة واحدة، وقد جرت آيات كثيرة في القرآن في ذكر العلم والوحدة مثل قوله:

﴿لاَ تأخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَومٌ لَهُ ماَ في السَمَواتِ ومَاَ في الأرْضِ مَنْ ذاَ الّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذنهِ يَعْلَمُ مَا بيْنَ أيْديهِمْ ومَاَ خَلْفَهُمْ ولاَ يُحيطُونَ بشيءٍ مِنْ علْمِهِ إلاّ بِمَا شاءَ وَسِع كُرْسِيُّهُ، السَمَواتِ وَالأرْضَ ولاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَليُ الَعظيمُ.﴾

وكقوله:

﴿لكِنِ اللهُ يشهَدُ بِمَا أنْزَلَ إلَيْكَ أنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالملائِكَةُ يشْهَدُونَ وكَفى باللهِ شهيداً﴾.

وقوله:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ والشَهَادَةِ الْكَبيرُ الْمتعالِ﴾

وقوله:

﴿عَالِمُ الغيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غيبِهِ أحَداً﴾ ﴿إلاّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسولٍ فإنهُ يَسْلُكُ مِنْ بين يَديهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾

وكقوله في الكلمة:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾

وقوله:

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ﴾

ثم = العقل = وهو أول خلق ظهر من أمر الله تعالى... وسمي العقل لأنه لماَّ تجرَّد = المبدع = عن سماة المربوبين، وتعرّى عن صفات المخلوقين – وذلك امجد تسبيح، وأنزه معرفة، وأقدس علم – ولم يوجد الباري تعالى في أول الخلقة غير «العقل» فحصر في جوهره صور المبدعات كلها، كي لا يذهب شيء منها... ويضاف الى العقل اسم =القلم= لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة من الابتداء الى الانتهاء، ومن العقل ينفطر التأييد في النفوس الزكيّة. ومن القلم تنفطر الحروف الجامعة للكلام، ويقال للعقل «العرش»، ومعناه أن اقرار معرفة التوحيد هو ما يتقرر في العقل من الاثبات والنفي، وبالعقل تعرف جلالة الله وعظمته عن سمات بريته. كذلك العرش فهو مقر لمن جلس عليه، وبجلوسه عليه تعرف جلالته عمن هو منحط دونه، ويقال للعقل «الأول» ومعناه الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل «أيس» بما هو مطبوع عليه غيره في اظهار قوته التي من اجلها أيَّس ذلك الشيء، فالعقل حكم به واستجنه، ولم يتيسّر للخليقة ابقاء «الأيسيات» على القوة المستودعة فيها، ويقال للعقل «السابق» ومعناه انه اسبق لقبول آثار الكلمة قبل سائر الحدود لقربه منها، واتحادها به، وهي والعلم والامر بمعنى واحد... وقد يجوز أن العقل سبق فعله قوته، ولم توجد هذه الفضيلة في «أيس» سواه. لأن جميع الحدود من دونهم قواتهم سابقة افعالهم، وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً.

اذ أن من سبقت قوته فعله لا يكمل الاّ بخروجه من حد القوة الى حد الفعـل، ويقـال للعقـل «القضـاء» لأن فيـه تقضي النفس ادراك المعلومات، والظفر بالمطلوبات، ويجوز أن الفعل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه، ويقال للعقل «الهيولى» ومعناه أن بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة، كما أن الهيولى هي قوام الصورة المستفادة من الطبيعة، ويقال للعقل «الشمس» ومعناه أن بالعقل تبصر الحقائق وتقف على علم المشكلات، كما أن بالشمس تبصر الالوان والصور.

ثم «النفس» فإنها الخلق الثاني المنبجس من الخلق الاول، وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة، ويقال للنفس «اللوح» ومعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الكلمة يتسطَّر في النفس، ومن النفس يتصل بجريانها المنبعث منها على مقدار صفائها ولطافتها، ويقال للنفس «الملك» والمعنى أن النفس ملك العقل وقينته، لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل، كما أن بالملك تظهر فضيلة الملك، ويقال للنفس «الثاني» والمعنى انها الحال الثاني لجميع المخلوقين التي حافظتهم اشياءهم، انما تفضيل النفس بين كل شيء ليكون السلوك وللمنطق عبارة، ويقال للنفس «التالي» ومعناه انها تتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة، ويجوز أن النفس بقوتها تتلو العقل بفعله، ويقال للنفس «القدر» ومعناه أنْ الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل، فالتقدير والتحديد محيطان به، ويقال للنفس «الصورة» ومعنى ذلك أن النفس تصورت من جوهر العقل الذي به تقف على فوائده، ويقال للنفس «القمر» ومعناه أن النفس تستفيد من انوار العقل وضيائه، وانها متى همت أن تلحق به لتنزل منزلته محق نورها، كما أن القمر يستفيد نوره من نور الشمس، واذا اجتمع مع الشمس في المنزلة محقت نوره، ويقال للعقل وللنفس بكلمة واحدة «الأصلان» ومعناه أن العقل والنفس مرجع الأشياء سواء اكان روحانياً او جسمانياً فلا

يتعريان عنها، ولا يكتفي باحدها دون الآخر، وإن اكتفى من هو سواها، فإن الذي يكتفي به هو موضوعها، كالهيولى، والصورة، والطبيعة، ثم «الجدّ» ومعنى الجد البخت، والبخت منه ما هو حقيقي، ومنه ما هو مجازي، فالحقيقي ما اجتمع به المرء من السعادات جميعاً، سواء سعادة الدنيا، او سعادة الآخرة، والمجازي ما يجري في العرف والعادة كالمتولين، وذوي الثروة واليسار... فإنهم محدودون، وربما يكون هلاك اكثرهم بما يتوهم بجتهم فيه. فلما وجد في واحد من البشر قوة شريفة امكنه بمجاورتها محبة، العالم الروحاني، ومعاينة اهله: والحكاية عنه، وعن صورته، فصار بتلك القوة قاهراً لجميع من في عصره ودوره حتى صاروا له كالعبيد يصرفهم كيفما يشاء، ويحكم فيهم بما يريد، واستحقت القوة المتصلة به أن تسمى بخناً وهو الجد.

قال الله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً﴾

عنى تعالى بهذا الجد أن يكون شبيهاً بالحدود الدنيوية.

ثم «الفتح» ومعنى الفتح البيان، وذلك انه مكرم بهذه القوة الشريفة التي سميناها بخناً بما يخطر في نفسه من افاضتها، ما لا يمكنه البيان عنه لا شتماً له على جمل من العلوم والحقائق، واحتوائه على الغوامض التي يحتاج في الإبانة عنها الى قوة غير تلك القوة اذ هي قد استغرقت ما حملته اليه، فيسّر الله له قوة اخرى تفتح له تلك الغوامض، وتحل له المشكلات.

كقوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾

يعني فتحاً يبين لك ما انغلق في صدرك من الغوامض والمشكلات. ثم «الخيال» فأما معنى الخيال فإنما هو القوة الموهوبة لمن اكرم بالقوتين

يعني الجد والفتح ليكون بالقوة الثالثة قد قدره بعض ما امكنه في نفسه من غيره، فيكون له بذلك تمام الروحانية.... فهذا هو معنى الجد والفتح والخيال.

ثم «الحروف العلوية السبعة» ومعناها أن صاحب كل دور قد سقط من العالم الروحاني ما امكنه سقطه من تأليف شريعته، وانشاء تنزيله، وسياسة امته، ولمّا كان ذلك العالم هو عالم العقل والنفس، وجد الكلام أول دليل على اثباته والحكاية عنه، ووجد الكلام قوامه واثباته بالحروف، وأنّ الكلام الحقيقي الذي هو جوهر العالم الروحاني واكتسابه كلما صرح عنه معرياً من الأمثال والتشابيه، وموعود يوم الآخر أن يعبّر عمّا يجاور كل رسول في كل عصرٍ بالحروف التي يؤدي بها تأليفه الى الكلام ليعلم به، أن تواتر الرسل انمّا وجب ليقبل كل واحد منهم قبولاً لأمر الآخر الى تامية الحال، ولمّا وجب في الحكمة تغيير الرسالة بين الرسل السبعة، وجب بازائها تقسيم الكلام المعّبر عنه بالحروف، واضافة كل حرف من الحروف السبعة الى ناطق من النطقاء السبعة، ليكون بتلك الحروف القدرة على إنشاء الشريعة، وتأليف التنزيل، الى أن يبلغ الأمر الى الغاية التي يمكن فيها التعبير عن الكلام الحقيقي المعرّى من التشابيه والأمثال. فهذه معنى الحروف السبعة بالوجيز من القول.

وأمّا «الحدود الجسمانية» الذين جعلهم الله تعالى وسيلة بينه وبين عباده... فأولهم «الرسول» ويسمى «ناطق» فمعنى اسم الناطقية عليه اضافة الى قوته وغلبته ونصرته الى النطق لا الى شيء من اسباب الجسد وهيئاته مثل الشجاعة والجود والعشرة، وأن قدرته على تسخيره الأمة، وغلبته الحق إنما هو من اجل نطقه وصفوة نفسه، إذ ليس من أثار النفس عندنا اظهر من النطق، فقيل له من أجل ذلك ناطق يعني قاهر أمته بالنطق لا بالغلبة الجسدانية، ويجوز ان النطق الحقيقي هو

ما يقذفه الروح الأمين في قلبه بما لا يشوبه تناقض، وما دون منطقه فانه مردود بين التناقض والتشبيه، فقيل له سن أجل ذلك ناطقاً للعلم، لأن النطق الحقيقي ميسَّر له.

ثم «الوصي»...ويقال للوصي «الأساس» ومعناه انه اساس المؤمنين لبناء آخرتهم بما يقفون به على بيان الوحي، فاشتق للوصي اسم الاساس، ويقال له اساس الائمة واللواحق، وأساس دور الكشف، ويقال للرسول وللوصي بكلمة واحدة، «الاساسان».... على أن ما ورد من التنزيل والتأويل كان لدينها ودنياها وأولاهما، وعقبانها... إذ بالتنزيل عصمة الرجل وماله، كما أن بالتأويل حياة روحه، ونجاة نفسه. فأول ادوار النطقاء دور«آدم» عليه السلام وقد اسند الوصية الى ابنه «شيث» عليه السلام، وتمّ دوره ستة بستة من الأئمة حتى بلغ الأمر في آخر الدور الى الامام السابع، فارتقى من حد الامامية الى حد الناطقية، وهو «نوح» عليه السلام، فأقام الرسالة والرئاسة للدور الثاني، واسند الوصية الى ولده «سام» عليه السلام، وأتّم دوره ستة بستة من الائمة الى ان بلغ الأمر في اخر الدور السابع الى الامام السابع. فارتقى من حد الامامية وهو «ابراهيم» عليه السلام، فأقام الرسالة والرئاسة للدور الثالث، وأسند الوصية الى ولده «اسماعيل» عليه السلام، وتمّم دوره ستة بستة من الائمة الى أن بلغ الأمر في آخر الدور الى الامام السابع، فارتقى من حد الامامية الى الناطقية وهو «موسى» عليه السلام فأقام الرسالة والرئاسة للدور الرابع، واسند الوصاية الى «يوشع بن النون» عليه السلام، وأتم دوره ستة بستة من الائمة الى ان بلغ الامر الى الامام السابع، فارتقى من حد الامامية الى حد الناطقية وهو «عيسى» عليه السلام، وأقام الرسالة والرئاسة للدور الخامس، وأسند الوصية الى «شمعون الصفا» عليه السلام، وتمم دوره ستة بستة من الائمة الى أن بلغ الامر الى الإمام السابع، فارتقى من حد

الامامية الى حد الناطقية وهو «محمد» صلعم وأقام الرسالة والرئاسة لتمام الدور السادس وأسند الوصية الى ابن عمه «علي بن ابي طالب» فبدأ دوره ستة بستة من الائمة وهم: علي، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، اسماعيل... فلما بلغ الامر الى الامام السابع وهو «محمد بن اسماعيل» ارتقى من مرتبة القائمية، وجعل الوعد الى شروق الامر، وأن يستخلف بعده سبعة بسبعة من الخلفاء، وعند تمام العدد يكون البروز والنشور، وبلوغ الانفس الى ما أعده الخالق لها من الثواب الجزيل في دار البقاء بجمل كرامة الله وجوده.

ومن الحدود الجسمانية «الامام» ويقال له «المتم» فمعنى المتم أن بالائمة تتم ادوار النطقاء على أن لكلّ متم حظه ونصيبه من دور ناطقه الى أن يبلغ الأمر من الأول الى الثاني، ومن الثاني الى الثالث الى تمام من السادس الى السابع، وهو الذي يرتقي من مرتبة الامامية الى القائمية ليكون سابعاً، وعلى هذا الاساس منه اولياء وأوصياء.

وبعد الامام «الحجة» ويقال له «لاحق» فمعنى اسم الحجة هو ان الامام لا يمكن ان يقيم حجته على أهل زمانه من نفسه، وذلك لطول الأرض وعرضها... فقسم الارض باقسام الفلك على اثني عشر جزيرة بازاء كل برج من بروج السماء، وسبعة اقاليم ازاء السبعة افلاك، فجعل في كل اقليم حجة، وفي كل جزيرة لاحق ليدعو الخلق الى دين الله، وتكون حجته على الخلق قائمة.

وأمّا معنى «اللاّحق» فإنه مشتق من اللحوق، ولمّا كان التأييد اذا جرى مجرى الخصوص لا يتعدى من واحد في كل زمان لتكون رئاسة العلم خالصة لذلك الواحد، ولم يمكنه اقامة الحجة على الخلق بنفسه كما ذكرنا لطول الأرض وعرضها، فأمر بتنصيب اللواحق في الجزائر ولكل لاحق منهم خليفة هذا المخصوص، وله قسطاً من تأييده ليمكنه بقوته

وسياسته في جزيرته فهو لاحق به، ويقال للجماعة لواحق، ويقال للإمام والحجة بلفظة واحدة «الفرعان» فمعنى الفرع انه مضاف الى الأصل... فوجب اذا قلت للفرع ان يكون من الأصل، ومعناه أن الامام والحجة فرعان من الأصلين، قاما في العالم الجسماني مقام الاساسين، وفي العالم الروحاني مقام الاصلين.

ثم «اليد» ومعنى اليد أن كل لاحق لا بد له من واحد يعتمد عليه، ويثق به ويستقيم اليه، ليقوم مقامه، ويحدّث به امر من يصلح اسبابه، وأسباب من قلده امرهم، فوجب من أجله ان يكون عدد الأيادي مماثلاً لعدد اللواحق، وأمّا «ذو الامتصاص» فإنه ربما اتفق لبعض المختارين صفوة يتهيأ له بصفوته مصّ ما يترجمه لسانه ممّا وقع له من الحلاوة والدراية ممّا لا يشك فيه أنه ليس بالتفكير ممكن الوصول اليه، فعلم أن صاحبه قد مصّ من العالم البسيط المصّة الشرعية.

ثم «الداعي» ويقال له «الجناح» فمعنى الجناح واضافته اليه هو أنه معتمد على اللواحق في الدعوة لا على الدعاة، وهم الذين يطيرون في نشر الدعوتين ظاهراً وباطناً، ومرتبة الاجنحة تسليم صقع مذكور معروف على الحدود الى واحد منهم، ويتهيأ له ان ينصب من تحت يده جماعة من المأذونين لطوال صقعه وعرضه، بعد أن يتوهم فيهم الخير والصلاح والصفة والامانة.

ثم «المأذون المطلق» وهو الذي ينصبه الجناح من نواحي صقعه ويطلقه بان يجري الدعوة فيمن احب من صقعه.

ثم «المأذون المحدود» وهو من اذن له الافادة لواحد او لاثنين او ثلاثة او أربعة وهو محدود في مكانه لا يتعداه الى غيره.

ثم «المؤمن» وهو من عرف صاحب زمانه باسمه ونسبه ومسكنه وبيعته، ووقف على مجاري الادوار والأكوار ومراتب الاسابيع التي تلمع

في كل دور وكور ووقف على كيفية البعث والثواب والعقاب.

ثم «المستجيب» وهو الذي استجاب لدعوة الحق، وانقاد لمعرفة التوحيد، ومعرفة الحدود العلوية والسفلية، ومعرفة متشابهات التنزيل والشريعة.

فهذه جملة اسامي الحدود، وما لكل واحد من الخواص والسمات، فاذا وقف المستجيب على هذه الاسامي وحفظها ووقف على معانيها كان التذاذه هذا مانعاً من قدح الطاعنين، وغمز الغامزين، وعيب العائبين. وانما لقّبت هذه الحدود بهذه الاسامي التي لا يعرفها اهل الظاهر للحاجة الداعية اليها، وهي من الاولياء، عندما ارادوا أن يدونوا الكتب الحقيقية، ولمّا كان لا يؤمن على الكتب من وقوعها في ايدي من لا يستحقها جعلوا للاسامي القاباً وكنايات ليأمنوا من وقوعها في أيدي غير المستحقين الاطلاع على علومهم كي لا يدعي احد الوصول اليها الا بعد دخولهم الباب سجداً.

إنّ لهذه الالقاب معانٍ تَفرّد بها الحكماء الميامين، ليفرقوا بين العالم والمتعلم، ويبينوا فيها فضلهم عمن هو دونهم من أهل ادوارهم المحتاجين الى علومهم.

نفعنا الله وجميع المؤمنين بمعرفة الاسامي، وجعلنا الله وإياهم من حزبه واوليائه.. إنه على كل شيء قدير. والسلام على المرسلين... والحمد لله رب العالمين.

الرسالة الثانية

الكافية

تأليف

محمد بن سعد بن داود

الرفنة

« المؤلف »

هو « محمد بن سعد بن داوّد » الملقب ب « الرَّفْنَة[١] ». ولد في حصن « بعرين » او « بارين » سنة ٧٨٩ هـ. وعندما شبَّ وترعرع جاء الى بلدة « مصياف[٢] » فدرس في مدارسها اصول الفلسفة والعقائد الاسماعيلية... بعد ذلك اكتنف حياته الغموض، وكل ما ذكر عنه انه جاء الى مدينة « حمص » وأقام فيها فترة طويلة قريباً من طلاّبه العديدين... وأخيراً عاد الى مصياف حيث اعتكف فيها للتأليف والوعظ والارشاد، ومن الجدير بالذكر انه مات فيها سنة ٨٥٤ هـ. ولا يزال ضريحه قائماً ومعروفاً، وقد تحوَّل الآن الى جامع للصلاة.

ذكر ان العالم الرفنَة كما يلقبونه ترك عدداً من المؤلفات، ولكنها فقدت، واعتقد ان هذه الرسالة الموجزة هي الوحيدة التي سلمت من مؤلفاته.

قيمتها وأصلها:

هذه الرسالة عثرتُ عليها في بلدة مصياف، ولم اتمكن من العثور على نسخة ثانية ولهذا اعتبرت فريدة ووحيدة.... امَّا قيمتها من الناحية الفلسفية والعقائدية فتظهر في فقراتها. والحقيقة فان ما ورد فيها من اراء ومقابلات ومعرفة بمراتب الحدود، يعطينا الدليل الدامغ على ان مؤلفها كان متمكناً وواسع الاطلاع وعلى مستوى رفيع بالعلم والفلسفة،

---

(١) « الرفنَة » يقول عنها ابو الفداء بكتابه « تقويم البلدان » ص ٢٥٩، عندما يكون في صدد التحدث عن « بعرين » أو « بارين »: « هي بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها أعين وبساتين. وهي على مرحلة من « حماه » الى الغرب بميلة يسيرة الى الجنوب وفيها عمارة تسمّى « الرفنيّة » لها ذكر شهير في التاريخ.

(٢) « مصياف » بلدة اسماعيلية لها شهرة تاريخية.. تبعد عن « حماه » مسافة خمسين ميلا إلى الغرب.

مضافاً الى ذلك الاسلوب الواضح، والتعبير الشيق الذي استعمله عند كتابتها... وكل هذا يلزمنا الاعتراف بالمقدرة والتفوق، وباحلالها في المرتبة العليا بين الدراسات الاسماعيلية التي ظهرت لحيز الوجود.

اننا عندما نضعها امام الباحثين والمهتمين... نفعل وكلنا ثقة بانها ثمرة يانعة من ثمار فلسفتنا العربية، وحديقة غنّاء فيها كل ما لذّ وطاب لطلاب العلم والمعرفة.



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الملك المبدع الأحد، الفرد الصمد من غير عدد، رافع السموات بلا عمد، الذي لم يزل في القدم موجوداً، وبأزل الأزل معبوداً. لا يدخل على ذاته التغيير، ولا يغرب مثقال ذرة عن علمه، ولا تحويه الاشياء، ولا يدركه العقل، او يشمله الفكر.

ليس هو موجود فيوصف، ولا غائب فينعت.... سبحانه لا اله الاّ هو، ظهر للكل بالكل، فلولا وجوده لما عرفه احد، لانه لا بمكان كائن، ولا يوجد تفاوت في ذاته القوية القديمة، فهو السر العميق الذي لا تدركه الافكار، وهو نور الانوار، ونفس النفوس، ورب المعنويات، وروح الأرواح، وسر الاشباح. لا يقدر موجود ان يبلغ الى كنه سره، ولا يستطيع مخلوق ان يصل الى معرفة مبدئه، فهو مقدر الارزاق، ومعطيها للنفوس بلطائف حكمته، وهو الموجود، والمعبود، والمقصود، والحي القيوُّم.

أحمده في السر والعلن، وأشكره في الفرح والحزن،، شكر مؤمن آمن بالنفس القدسية، وبالروح العلويّة السارية في الموجودات، المتولدة من الحدين العلويين، وبالانسان الكامل الموجود لخلاص النفوس الجزئية من عالم الكون والفساد.

وصلّى الله على محمد خير الانبياء، وعلى وصيه «علي» خير الأوصياء... وسلّم تسليماً كثيراً.

قال الله في كتابه العزيز:

﴿وَوَصَّينَا الانسَانَ بوَالديْهِ احْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى اذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْني أن أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتي أَنْعَمْتَ عليَّ وَعَلَى وَالدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضَاهُ، وَاصْلِح لي في ذُرِيَّتي إني تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنّني مِنَ الْمُسْلِمينَ﴾

فالانسان المشار اليه هنا هو الشخص الموجود للعيان المنظور المدرك بالحواس من جهة ظهوره للناس، وهو المولود المنتقى الروحاني الممكن الوجود عن الحدين العلويين اللذين هما والداه وهما: الابداع الاول - العقل - والابداع الثاني - النفس، التي فاضت عنها الحدود الروحانية، وقامت منها السموات والارض وما فيهنّ على احسن حال.

قال: «حملته امه كرها».... والحمل على الابتداء، لانه في البداية كان صفراً من الاشراق - والانوار العلويّة.... «ووضعته كرهاً» اي اظهرته الى الوجود قبل ان تتصل به لمعات التأييد الخفيّة.... وعلى وجه ثانٍ... اي لمّا حملته نفسه اللطيفة اتصلت به المادة الحقيقية والتأييد المحض من قبل الباري جلّ ذكره، او لمّا تكاملت صورته الروحانية، اظهرت النفس بالقوة الالهية، فتقلدت عهده الحدود الجسمانية، وكرهت ائمة الضلال ظهور الدين العظيم الجدير بالصدق والحق.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

وقال:

﴿وَحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾

يعني اول اتصاله بالحدود الجسمانية، وعددها اثني عشر مقابل شهور السنة التي منها «الأربعة الحُرُمْ» فان لم تكن كلها موجودة في الاجسام وروحانيتها لم تتغيَّر مقاماتها من اللوح على التي انتقشت فيه انفس الاشخاص الضالّة... فعند ذلك يصير هذا الانسان قابلاً للتدرج والارتقاء، من رتبة الى رتبة، وكل مقام اولى بمقامه.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا مِنَّا الاَّ وَلَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾

فهذه الدرجة هي بلوغ الحد الخامس، وعندئذٍ يصبح له من الحدود «أربعة حُرم» فيتسلّم من الحدود الخمسة السفليَّة، ويتصل به الفيض من الحدود الخمسة العلويَّة، ويظل يبلغ رتبة بعد رتبة الى حد الثمانية التي هي حملة العرش – اي عرش الله الادنى، لانها جسمانية، وممثولها الحدود العالية في الحضرة الخالدة، وهي الحاملة لعرش الله العظيم.

كقوله تعالى:

﴿والْمَلَكُ عَلَى أرجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾

ثم يرتقي بالرفعة والكمال الى حد الأحد عشر، ثم الى الثاني عشر التي هي بمنزلة القمر، ثم الى حد الشمس وهي بمنزلة «المتم». كما قال الله تعالى في قصة يوسف:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

فالشمس كما ذكرنا في رسالات اخرى هي المتم الى حد الكمال، والكمال روح المتم الذي هو حجاب الشمس، فاذا بلغ الانسان الحقيقي هذا المقام اتصل من المتم الى حد الكمال والتمام وهو – الرابع عشر – فعند ذلك يتجلّى غاية التجلي على الحدود التي هي من دونه، ويظهر بالنور الساطع، والضياء اللاّمع... وقد جعل الله تعالى القمر دليلاً واضحاً لاولي الافكار والبصائر... الاّ ترى انه في اول ابتدائه يكون في غاية النقصان الى الثمانية والعشرين، ويوفي في ليلة التسعة والعشرين، ثم يبتدىء في ليلة الثلاثين، فيكون قد اكمل العدة

وهكذا الانسان المشار اليه اذا بلغ اربعة عشر من المقامات الحقيقية، فيكون قد اتصل بحد المتم الأول والثاني، وهي التمام والكمال،

وهؤلاء الائمة بعد الناطق السادس محمد ﷺ: الحسين، وعلي، ومحمد، وجعفر، واسماعيل، ومحمد... وان قصة اسماعيل بن جعفر مع اخيه عبد الله الأكبر لدليل على ذلك، وهي كمثل قصة اسحق مع اسماعيل بن ابراهيم، لان اسماعيل كان مستوراً واخوه اسحق ستراً عليه، وهكذا كانت غيبة اسماعيل بن جعفر في حياة ابيه، فان اخاه موسى كان ستراً عليه الى حين استلام «محمد بن اسماعيل» وهذا الامر لا يعرف سره الاّ اولو الالباب.

ونعود الى ذكر الائمة الستة، والسابع التام، وهم السبع المثاني التي خصَّ الله بها نبيّه محمد ﷺ بقوله:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرآنَ العَظِيمَ﴾

وانّما اشار بذلك الى الحد الجليل. وامّا هذه السبعة فموجودة دائماً في العالم البسيط، وهي روحانية لطيفة، او هي السبعة الشداد. كقوله تعالى:

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾

قال بعض العارفين:

ان النبي لما رقى السبع الشداد الى المقام الاعلى كان العروج، وفي العروج اسرار اذا وقف الانسان عليها، ووصل الى حد هذه السبعة فيكون قد بلغ مرتبة النطقاء. كما قال بعض الائمة:

«بسبعة قد كمل دورنا»... واذا ما اتمّ الاربعين فتتكامل سرائر الصدق والحق، ويكون الشخص الفاضل رأس التسعة عشر التي ذكرناها في رسائلنا... وهم الذين اوكل اليهم امر الجزائر الاثني عشر، والسبعة اقاليم كما قال الله تعالى:

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ - عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾

والمعنى انها النفس اللطيفة، أو نفس هذا الشخص الفاضل الكامل تلوح بعشرة من الحدود الواقفة على الصراط المنصوب، ثم ترتقي هذه النفس القدسية التي هي باطن الحجاب الجسماني الذي فيه الرحمة من الحدود الأحد عشر الروحانية، وهي تكمل الثانية عشر حتى تبلغ الى الثانية والعشرين، وتستتر في المرتبة الروحانية في التسعة وعشرين، وتكمل العدة في الثلاثين، فتكون قد اكملت نفسها في وصولها الى الاربعة عشر.. وهذه غاية الكمال والاحتجاب، ثم تنتهي الى الثلاثين يوماً التي هي مثل منازل القمر في سماء الدنيا... كقوله تعالى:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾

ويعود الابتداء الثاني بالشخص الآتي، والدائرة تدور على القطب الحقيقي الى الثلاثين، والعلة تكون هي الماسكة للجميع... فهذه منزلة الصورة البشرية المرتقية في الوجود كترقي القمر في المنازل.

قال الله تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً... ﴾

يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم في هذا الوجه اذا بلغ اشده واكتمل امره، واتى اليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل معاً، ويبلغ الاربعين عاما يعني يتيسر له اربعين حداً وهم الذين يظهرون مع قائم الزمان، كما انه لا بد لكل ناطق دور من اربعين حداً على التمام.

كما قال الله تعالى:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

فهذه هي الجزئيات... وامّا الاربعين سنة فهي حجاب المراتب العالية، والدرجات الشاملة، وهم رفقاء الاسم الجليل.

ونعود الى الكلام عن معنى قوله تعالى:

﴿أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى والِدَيَّ﴾

يعني من الاصلين الأولين المشرقين المتصلين بالكاف والنون، وهي النعمة الابدية السرمدية المتصلة بنفس هذه الصورة الالفية.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

اي بتسليم امري لصاحب الرتبة القائم مقامه بعده.

وقوله:

﴿إِنّي تُبْتُ إِلَيْكَ وإِنّي من المُسْلِمينَ﴾

يعني اني اتصلت اليك بالوسائط الروحانية، والصورة الحقيقية التي تعود بها النفس الى ربها راضية مرضيّة.

﴿وَإِنّي من المُسْلِمينَ﴾

اي سلمت مقاليد الحكمة المستورة الى اهلها الذين هم قائمين بها، وحافظين لاسرارها، والكاتمين لها، الذين يعلمون الظاهر عن النفوس الباطنة، وما يتصوّر في ذاتها فهو منقوش بما شاهدته في جوهريتها لانهم اصحاب الملأ الأعلى والذوات المنكرة عندهم ذات واحدة مجموعة في وسط اللوح المحفوظ، والجميع كائن من قلم الله الاعظم، والقوة الازلية ظاهرة عنه متحدة بالجوهر البسيط، ومشرقة على اللوح المحفوظ بالعناية الالهية، والقدرة الربانية... اشراقاً بالقوة عندما ينتقش باللوح يصير تاماً بالفعل. واعلم ان الملأ الاعلى هناك في غاية الفيض الكلي...

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

وقال:

﴿يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهارَ وَلا يَفْتَرُونَ﴾

وقال:

﴿مَنْ جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾

وهؤلاء هم نقباء ربهم المتصلون، او الملائكة الكاملة الانوار الفاصلة، والانفس الروحانية الدائمة المطمئنة العالمة المتساوية المشرقة بنور الجلال وهي وجه الله الاعلى المتجلّي بالانوار الجبروتية المتحد بالغاية الكليّة التي تجوهرت بضياء لمعات الانفس الابداعية المنبسطة في بحر نور التجريد، المعتدلة بنهاية التوحيد، الواردة من فيض نور العرش المجيد، وهو النور الفريد، ومقر التجريد، والفعال لما يريد، والملك الاعلى الذي نحن لفيضه قابلون، ولانواره متعشقون... فيا فوز من اسّس بنيانه على تقوى من الله وانبيائه، وصمد بالقوة الغريزية الى جانب الديّان، واستظلّ بظل العرش المجيد.

فانظر بنفسك ايها الغارق في بحر عالم الكون والفساد من اين انت؟ والى اين انت ذاهب؟ واعرف اشراق جوهرك من اي نبع يجري، وارمق ببصرك اللطيف المعاني المحضة، وتجرد عن ظلمة الجسم لتتصل نفسك بالحضرة النورانية وتشاهد رحمة ربك في بواطن كهوف التقية، وانظر الى المعاد، واين تكون بعد الفراق، وافرغ عليك لباساً من اثواب الآخرة، واجر جري مبتهلٍ الى نور الانوار، واعلن بكلية الاخلاص في مجاري الامور الدينية، واعتمد على معراج الحقيقة، فتشاهد السبع الطباق مشاهدة الذات بالذات، واغتنم قبل رحيلك السعادة القصوى، ليلوح لك الشعاع العلوي في الملأ الاعلى... فهناك

معادك النوراني بعد فراقك الجسم، اذا كنت تائها في الوجود... وهناك ابتداء مرتقاك مع الصاعدين، حيث ترمق ببصرك اولي الألباب، وتطلع على منابع الالوهية الحقيقية، وترى بعين عقلك ما تحت اذيال الستور... وهناك عليك ان تقبّل الاعتاب - وتدخل الى دار الاستقرار، وتنزع الصبر والبلاء، وتصير الى ملك العوالم... فقرّ له بالطاعة، وبالولاية لمن رقّاك الى عالمه.

واعلم انك اذا نظرت بالجوهرة الخفية الى ما قد تحقق بنفسك المعنوية، فعند ذلك تشاهد الصورة الاميرية ذات الحواس الالهية البالغة جوهرة وحيدة وردت من مقرها فريدة، وكما ارادت ان تكون مزدوجة اشرقت من حضرة مبدعها وارادت الهبوط في العوالم، فلاحت الانوار تجذبها الى عالمها، فلم تتمكن، فدارت كدوران الفلك، وتعاكست عليها الطوالع، فازدوجت في كل عالم بجوهر يقبل النفس بذاتها.

فأول المبتدأ هو الفرد العلوي المبدع وهو الزوج البسيط، والثاني الزوج - المنبعث الأول، والثالث مظهر التصور، والرابع حد الاتحاد بلطائف الجسم، فصارت عند هذه الرتبة جوهرة رباعية، الطافها معنوية، وصورة وجودية الفية انواعها وتقاسيمها تظاهرة عقلية نفسانية جرمانية جسمانية هتفت عليها روح من الامر بجوهر العقل، واشرقت بسر النفس ولاحت الهيولى الطبيعية، والطبيعية اصل ايجادها ووجودها على صورة امهاتها بالهيولى، لانها ذات طبع تقبل معه الاشباح - والتصوير، والكمال لا يكون الا بهذا وبظهورها الى عالم الحقيقة، وكذلك الازدواج بالمعاني مع الاواني.. فلم تزل تلوح وتظهر وتختفي وترجع الى ان تبلغ الى اقصى الغرض، وان تتصور في ذاتها بصورة مجمعة للمعاني والاشكال والامثال، وهي عند السبل لا تمنع الناظر من ان يرمقها الى الاعلى من الاسفل.

فادرك بنفسك ايها الطائف في حرم البقعة المباركة.. فقد لاحت لك العناية في الشجرة المعنوية، وارمق وابصر بحدود البصر تنال الشرف في اطلاعك على معرفة الاركان الاصلية، وانت مسافر الى المقصد لتطلع اذا كنت موفى على لمحات اشراق اللاهوت من جو لطائف المعرفة الخفية، مبصراً اللمعات الدينية الظاهرة من بواطن كهف التقية على سرادق الغوامض الخفية.

فيا فوز من رفع الستور بهمته الروحانية، وجال في الفكرة القدسية لينتقل من حال الى حال، ويرى مظهر المشيئة... فهناك يبلغ ذروة المعاني المحضة، والجواهر الملكوتية، والانوار الروحانية، فتزدوج نفسه بالمعاني - النورانية، وتتحد بالعالم البسيط، وتنال السعادة والسرور الدائم، ولا يتم ذلك الا بمعرفة صاحب الوقت، وبولاية الائمة الاطهار، الذين هم السفن الجارية في بحار الانوار الصافية. فمن ركب السفينة فقد فاز... وتزود لآخرتك فخير الزاد التقوى، واقصد حمى دار الدعوة لتصل الى السعادة السرمدية والحياة الابدية.

هذا ما اردت ان ادلك عليه ايها الاخ البار الرحيم... فاقرأه على مسامع الاخوان المؤمنين، واشرحه بامعان ورويّة.

والحمدلله رب العالمين

الرسالة الثالثة

الدوحة

تأليف

المؤيد في الدين

هبة الله بن موسى الشيرازي

داعي الدعاة

المؤلف:

هو ابو النصر بن عمران - هبة الله بن موسى بن داؤد الشيرازي، المعروف في كتب الادب «بالمؤيد في الدين» او «داعي دعاة الفاطميين».

عرفته الاوساط الادبية والسياسية في عصره، بانه اكبر دماغ علمي انتجته الدعوة الاسماعيلية في عهودها الاولى والاخيرة، وأدهى سياسي وجد في تلك الفترة، وأجرأ من عمل، ومهّد لتحويل اراء الناس والجند، وقلب الممالك، وأخطب من وقف على المنابر، وناقش وجادل في فلسفة العقائد.

وصفه ابو العلاء المعري فقال:

«لو ناظر ارستطاليس لجاز ان يفحمه، او افلاطون لنبذ حججه خلفه»

وقال عنه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله:

إنْ كنتَ في دعوتنا آخرٌ فقد تجاوزتَ مدى السُّبَّقِ
مثلك لا يوجد فيما مضى من سائر الخلق ومن قد بقي

وقال هو عن نفسه:

«انا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها، ومن لا يماثلني احد فيها»

اشتهر المؤيد في الدين برسائله التي ناظر بها «ابا العلاء المعري» وهي التي نشرها في مجلة «الجمعية الاسيوية الملكية» سنة ١٩٠٢ لأول مرة المستشرق «مارجوليوث».

واستطاع ان يدخل أبا كاليجار البويهي في عقيدته، وتمكن بعد اتصاله بالفاطميين من جذب قلوب امراء العشائر في سورية والعراق، وهي التي كانت تتقلب وتتردد بين العباسيين والفاطميين، كما أنه أغرى القائد العباسي «البساسيري» على الثورة وخلع القائم بامر الله الخليفة العباسي، وبالفعل تمّ ذلك سنة ٤٥٠ هـ، وأقيمت الخطبة لأول مرة على منابر بغداد باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ودامت لمدة عام ونيف، ولولا اضطراب الاحوال الداخلية في القاهرة، وحدوث المنازعات والازمات بين قواد الدولة الفاطمية ورؤسائها... اذن لتغيّر وجه التاريخ العربي والاسلامي.

كل ما نعرفه عن اسرته يتلخص بان والده كان له نفوذ كبير في الاوساط الفارسية، وكان على جانب كبير من الوقار، والحشمة وعزة النفس، والمكانة بين مواطنيه. حتى ان الوزير الواسطي كان يزوره في منزله، دون ان يزور هو الوزير في منزله، او في دار وزارته.

وعرف ان والده كان داعياً لدعاة الفاطميين في اقليم فارس... يدلنا على ذلك ما جاء برسالة «مباسم البشارات» للكرماني:

«ان الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله قال في آخر سجل ورد من نواحي فارس من موسى بن داؤد».

ولد المؤيد في الدين في شيراز سنة ٣٩٠ هـ. وارجح انه درس العلوم على الكرماني، وفي سنة ٤٣٨ هـ فرّ الى مصر بعد ان تألّبت عليه قوى الاعداء، فنزل القاهرة بعد مشقة كبيرة، وعندما طلب مقابلة الخليفة المستنصر بالله سُدّت في وجهه الابواب، ومنع من الدخول على الخليفة، ولكنه ظلّ ملازماً الابواب يلح بالطلب، واخيراً ارسل اليه هذه الابيات:

أُقسمُ لو انكَ توّجتني بتاج كسرى ملك المشرقِ

ونلتني كل امور الورى · من قد مضى منهم ومن قد بقي
وقلت ان لا نلتقي مرةً · اجبتُ يا مولاي ان نلتقي
لانَّ ابعادك لي ساعةً · شيَّب فوديَّ مع المفرقِ

فاجابه المستنصر بالله على الفور:

يا حجَّةً مشهورةً في الورى · وطودُ علمٍ اعجز المرتقي
ما أُغلقت دونك ابوابنا · الاَّ لأمرٍ مزعجٍ مقلقِ
ولا رددناك ملالاً فثق · بعهدنا وارجع الى الاليق
اتباعنا قد عدموا رشدهم · في الغرب ياصاح وفي المشرقِ
فانشر لهم ما شئت من علمنا · وكن لهم كالوالد المشفقِ
إن كنت في دعوتنا آخر · فقد تجاوزت مدى السُّبقِ
مثلك لا يوجد فيما مضى · من سائر الخلق ومن قد بقي

تعرَّض المؤيد في الدين الى ظروف قاسية اثناء اقامته في مصر، عندما وقفت في طريقه العناصر الفاسدة التي تتصدَّى للعباقرة في كل عصر، فتبعدهم عن المراكز التي تؤهلهم عبقريتهم للاضطلاع بها... واخيراً عهُد اليه بمرتبة «داعي الدعاة» بعد نجاحه بمهاته السياسية والعلمية، ولكن كل هذا لم يحل دون مقاومة مشاريعه واحباطها، ونفيه الى القدس مرتين.

للمؤيد في الدين مؤلفات عديدة اهمها:

مجالسه المؤيدية وهي ثمانمئة محاضرة القاها على جمهور المستجيبين في دار العلم بالقاهرة «المعزّية» وله ديوان شعري، وسيرة كتبها عن اعماله السياسية واتصالاته عندما قام بالانقلاب المشهور في الدولة العباسية.

قيمة الرسالة:

قصيدة « الدوحة » تحفة نادرة مقسمة الى قسمين:

الأول في الرد على بعض الفرق، والثاني في تأويل بعض النظريات العقائدية الفاطمية الفلسفية، ويتبين فيها الوضوح، والرقة، وسعة الاطلاع. وعندما نضعها موضع التداول نفتخر باننا نضيف الى المكتبة العربية اثراً يانعا من تراثنا، وثمار فلسفتنا وادبنا العربي.

الاشارة الاولى:

حمداً لربٍ قاهر السلطانِ فرد مليك باهر البرهان
اتقن كلَّ صنعةٍ وأحكما من ذا يردُّ ما به قد حكما
حكمتهُ خافقةُ الاعلام تريكَ وجهَ الحق بابتسام
اذا نظرتَ ساعةً في قدره كشفتَ طامي بحرها عن درره
كم ناظرٍ بعينه لا يبصرُ ومبصرٌ بالقلب لا يستبصرُ
فنظر المرءِ له شرائط تاركها في الظلمات خابطُ
وتلك ان يوجد شمس او قمرْ او شعلة او لا فلا يغني النظرْ
كذلك العقل لدى التبصرِ بذاته في حيّز التحيرّ
الاَّ بنور عاضدٍ من خارجٍ فعنده يعرجُ في المعارج
وانمّا امتنا تفرقوا اذ بين ذا وبين ذاك فرّقوا
فمرضت قلوبهم ايَّ مرضْ وفسدَ الدين عليهم وانتقضْ
وأصبحت عقولهم مختلّة سقيمة نفوسهم معتلة
فسلبوا سداد قول وعملْ وعرضوا لكل خطبٍ وخطلْ
ونقضوا قواعد الشريعة كلٌّ له مقالة شنيعة
من مثبتٍ لرؤية الرحمنِ مستشهد بآية القرآنِ
ومنكرٍ قد جاء ينفي تلكا ودونها الكفر يرى والشّركا
ومدّعٍ بالخير والشر معا انهما الله تعالى صنعا
وقائلٍ ذلك كلٌّ منّا وذلكم دينٌ به آمنّا

وقائلٍ في ظللِ الغمام   يأتي مع الملائكِ الكرامِ
وقائل لله وجه ويد   وقوله هذا لديه رشد
وقائلٍ ذلك حكمٌ باطلُ   انْ صحَّ ذا فالله شخصٌ ماثلُ
وقائلٍ بيدء يسقينا   وان ذا من فضله يكفينا
وقائلٍ يقول عرشٌ يحمله   وهو يئِطُ تحته اذ يثقله
وانَّ في معنى على العرشِ استوى   مبتدعاً كلٌ وركّاب الهوى
فواحد بالاستواء قالا   وواحد قال وقد أحالا
معنى استوى استولى وهذي مُكْنَتُهُ   وحوله من دينه وقوته
فكأن حينا لم يكن مستولياً   يا من غدا عن الهدى مولياً
وهو الذي قد حرّف الكتابا   عن وجهه وجانب الصوابا
يثبت شيئاً ليس فيه فيه   وحكم آى احكمت ينفيه
كمثل من قال: وجوهٌ ناضرة   قال: الى ثواب ربي ناظرة
ومثل من قال: وجاء ربكما   قال: هو الأمر خلاف ما حكما
وانكروا ان عرض الامانة   على السمواتِ لما ابانه
قالوا جمادٌ هي لا تكلفُ   ومثل هذا الفعل يأبى المنصفُ
وانما اهل السماء قد عنى   وعنهم باسم السماء قد كنى
وبعد ذاك الارض والجبال   بمثل هذا القول فيها قالوا
ما منع الرحمن ان يُبيّنه   أمكنهم قولٌ ولما أمكنَهْ
قد جهلوا من الكتاب الحكما   وفيه كل بالهوى تحكّما
فحين ظنّوا انّ خرقاً رقعوا   في محنةٍ اعظم منه وقعوا
قلنا: لهم اهل السماء من هُم؟   فقولهم ملائك يُسَلِّمُ!
قلنا فأهل الارض قالوا الناس   صحّ الى حيث انتهى القياسُ
قد مرّ ذا وبقيَ الجبالُ   أأهلها الضباعُ والأوعالُ؟
ان كان تبديل الكتاب عقلا   فدفعه اكثر منه فضلاً
يا ضعفهم وضعف ما تقولوا   وسخف ما برأيهم تأوّلوا

يا امةً عقولها معزولةْ ... وهي الى آرائها موكولةْ
توحيدها التشبيهُ والتمثيلُ ... ما ان لها نحو الهدى سبيلُ
والانبيـــاء عنـــدهم فسَّاقُ ... قوم بهم تُفتَّحُ الاغلاقُ
قـالوا: ابـانـا آدم من بِطنتِــه ... اول من اوقد نار فتنتِهْ
فقد بدا من حرصه على الشجرْ ... ما كان شر ذاك طائر الشررْ
لو انه لم يعصِ ما شقينا ... وفي عذاب الكون ما بقينا

قالوا وتلك حنطة قد كانت ... من قبل عزَّت ثم بعد هانت
أوشجر التين ففيه اختلفوا ... وكلهم عن رشدهم قد صرفوا
يا عظم ما كانت به من مخمصة ... مورثةٍ اياه هذي المنقصة
يا ذله وعزَّ تلك الحنطة ... لعزها ما ادركته السخطة
حتى لها من الجنانِ اهبطا ... ومن ذرى عليائها قد اسقطا
ارضاكم ذلك من معتقد ... في آدم الطهر النـــبي الامجـد؟
جهلتم من الكتاب الحكما ... ففيه كل صار اعمى ابكما
وشأن ابراهيم فهو افظع ... لـــديـــكم وشركُـــهُ لأشنَـــعُ
وقوله للنجم هذا ربي ... والبدر لمّا ان بدا في القطب
وجعله للشمس رباً اكبرا ... لكونها من بينهن انورا
اهون اذن بعقله ومذهبه ... فالله لا يغفر ان يشرك به
ان كان منه الشرك لا يستنكرُ ... فغيره في الشرك منه اعذر
ان القرآن لهو نور وهدى ... وقول حق حظّكم منه الصدى
وأمر لوط عبرة للمعتبر ... وشأنه ذكرى فهل من مُدَّكر؟
وقوله: انَّ بناتي اطهر ... من حيث معلومكم مستنكر
يـأبـاه من كـانـت لـه حميّـة ... ومن تكون نفسه ابيَّة
نظرتُم جداً وما ابصرتُمْ ... ودينـــكم عـــلى العمـــى قصرتُمْ
وانما أضللتمُ السبيلا ... لانـــكم فـــارقتم الـــدليـــلا

وشأن داوُد كليل داج ... في نعجـــة ضمَّ الى النِّعـــاج
الم يكن خليفةً في ارضه ... لله في ابرامه ونقضه
فلم غدا الى اتباع الجهل ... ولم تعدَّى موجبات العقل
قد جلَّ داوُد عن الطغيان ... وجلَّ قول الله عن بهتان
لكنما الفساد في المعارف ... والجهل اقوى سبب المتالف
وذكر من همَّـــت بـــه وهمّـــا ... فقصة ايرادها أهمّا
فيوسف ان كان همَّ بالزنا ... فما الــذي يبغي سواه من جنى؟
كذبتم وصدق القرآن ... وعند اهليه يُرى البيان
وليس بالهيِّن خطب المصطفى ... وما به في شأن زيد قذفا
وهو سماء دونه السماء ... وما اقلّت مثله الغبراء
جلّت سماء العلم عن مسمى الهمم ... نحو ذراها بذميات التهم
ما عرفوا تحقيق معنى ما ذكر ... في امر زيد اذ قضى منها وطر
فلو هــدوا لــذلــك التحقيــق ... لـمـــا بقوا للكفر في المضيـــق
يا قوم: قول ذا الكتاب فصل ... جزل المعـــاني ليس فيـــه هزل
ففكروا في « التـــين والزيتون » ... واستكشفوا عن سره المكنون
ولِمْ اتـــى من ربنـــا بـــه القسم ... كما اتـــى بـــالنون ايضـــاً والقـــلم
والفجر ايضاً وليالٍ عشر ... والشفع يحذو حذوها والوتر
ومثل هذا في الكتاب عدة ... يجـــده ذا كـــثرةٍ من عـــدّه
أهزُوٌ اقسامه بهذا ... او لعـــبٌ مـــاذا الجواب مـــاذا؟
ان كـــان برهـــان لـــكم فهـــاتوا ... او لا فكفوا انكم اموات
ان كـــان اعجـــاز القران لفظـــاً ... ولم ينـــل معنـــاه منـــه حظّـــا
صـــــــادفتم معقوده محلولا ... من اجل ان انكرتم التأويلا
لو انكم كشفتمُ الغطاء ... عن القلوب انست ضياءً
ينقذكم من سدف الظلام ... فاعترفوا مزية الاسلام
وفي حروف في اوائل السور ... مقطعات للانام معتبر

ككهيعص السورة   فكم معانٍ تحتها مستورة
جاءت لأن تعلم لا ان تجهلا   فلو استحال علمها لبطلا
اثباتها في محكم الكتاب   ذلك ذكرى لاولى الالباب
وربَّ معنى ضمّه كلام   كمثل نور ضمّه ظلام
باقٍ بقاء الحب في السنابل   في معقل من احرز المعاقل
وانما باب المعاني مقفلُ   واكثر الانام عنها غفل
مفتاحه اضحى بايدي خزنة   بهم الهي علمه قد خزنه
كيما يلوذ الخلق طرًّا بهم   خصّوا بهذا النور من ربهم
فما ابو حنيفة والشافعي   حيث هم نفعوا بنافع
اولئك الابرار آل المصطفى   ومن بهم مروة عزّت والصفا
هم البدورُ والنجوم اللُّمع   وللهدى وللعلوم المنبع
هم الثقات والنفاة للشبه   والمنقذون الناس من كل عمه
لهم سمعنا ولهم اطعنا   فبدلونا بعد خوفٍ أمنا
فما علينا مشكل بمشكلِ   بهم كفينا كل خطب معضل
وأرشدونا سبل الصواب   وعلمونا علم ذا الكتاب
مبرّأً من هجنة التناقض   مسلماً من خوض كل خائض
متفقاً متّسقاً معناهُ   كمثل ما في ذاك قال الله
بعثا لنا منه على التدبُّر   وهزة لهزّ هذي الفكر
لو انه من عند غير الله   لوجدوا خلفاً بلا تناهي
وان اجزنا ظاهر الكلام   في ذاك اسلمناه للخصام
ففي اختلافات القرآن كثرة   من كلّ قول مع كلّ زمرة
هذي مقامات الرجال البزل   ليست بحشوِ صاحبات المغزل
يا قوم سر الملكوت هذا   يجعل اصنامكم جذاذا
سرٌّ له صاحب موسى الخضرا   قال معي لن تستطيع صبرا
وقال موسى سوف القى صابرا   فلم يكن اذ ذاك الآ قاصرا

تـــدبروا القصـــة مـــاذا يمّما ... من قصهـــا ان لم تكونوا نوَّمـــا
لعلـــكم ان تحسبوهـــا سمرا ... اذا اسأتم للنفوس النظرا
من كان ذا عقلٍ وذا عينين ... يبلغ حقاً مجمع البحرين
يشرب من ماء الحياة عجلا ... لا يبتغي عنه بوجه حولا
يـا امـة اصبـح غوراً مـاؤهـا ... وامسكـت عن صوبهـا سماؤهـا
قـد انطوت منـاً على الضغـائن ... وجعلتنا عرضة المطاعن
ما نقموا منّا سوى الولاء ... لسادة الخلق بني الزهراء
يرموننا بالكفر والالحاد ... والزيغ عن مناهج الرشادِ
قالوا همُ قد عطلوا الاديانا ... وأبطلوا الاسلام والايمانا
يا رب فاحكم بيننا بالحق ... يا عالماً مكنون سرّ الخلق
نقول ما قيل لخاتم الرسل ... في الراهبين قل تعالوا نَبْتَهِل
ليلعن الرحمن منّا الكاذبا ... كيما يرى من ذا يرد خائبا
نعاب والمعيب من يعيب ... وما لنا في امرنا معيب
كمستمر المـــاء من فرط السّقم ... وهو الاليم ليس بالماء الم
وأينا في الشرع اذ نثبتُ ... كل جهول جاحدٍ يبكتُ
نستنطق الانفس والآفاقا ... ارضاً وسبعاً فوقها طباقا
بحجج مثل السراج تلمع ... تقصمُ كل ملحدٍ وتقمع
ما لسوانا ههنا مقال ... لنا المجال فيه والمصالُ
فكيف شرع الانبياء ندفع ... ومالنا الاّ النبيّ مرجع
بنوره في الدرجات نرتقي ... وبالكرام الكاتبين نلتقي
يا رب فالعن جاحدي الشرائع ... وارمهم . بأفجع الفجائع
والعن الهي من يرى الاباحة ... بلعنةٍ فاضحة مجتاحة
والعن الهي غالياً وقاليا ... ولا تذر في الارض منهم باقيا
يارب انا منهم براءُ ... هم واليهود عندنا سواء
فاخزهم واخز من رمانا ... بريبةٍ ولَقّه الهوانا

فاننا لأهل علم وعمل … لله دنّا بها عز وجل
نوحّد الله ولا نشبهُ … قد انتفت في الدين عنّا الشبه
بالمصطفى وآله اقتدينا … ثم بهم لاجرم اهتدينا
فما لنا من دون تقوى لبس … وما علينا في اعتقاد لبس
يا عجباً من مولع بطعنه … وسبّه لعصبةٍ ولعنه
ودينه اضحى كنسج العنكب … يزاحم الناس بغير منكب
كعصبة ذكرهم تقدّما … كل سبيل رشده قد عدما
وهاك من غر القوافي مصدره … عمّن زكا من كل عيب جوهره
نظم ابن موسى وهو عبد الظاهر … ذاك الامام ابن الامام الطاهر
صلّى عليه ربنا وسلّما … كما به انقذنا من العمى

الاشارة الثانية:

بديع شكرٍ ووسيع حمدِ … لمبدع الكاف الرفيع المجد
اكمله سبحانه اذ ابدعا … مبتدئاً واخترع النون معا
ثم اقام منهما ما قد علا … لخفةٍ وما لثقلٍ سفلا
من فلك طول الزمان دائر … ومن شهاب طالع وغائر
والارض لما اصبحت مهادا … ومن جبالٍ رسخت اوتادا
وحيوان باختلاف الجنسِ … كاملة فيها اداة الحسِّ
ومن اناس سخروها عنوةً … اذ اصبحوا منها لعمري صفوةً
بألسنٍ عن انفسٍ مترجمة … كاشفة عشواء كل مظلمة
وانما الانسان باللسان … وشرف اللسان بالبيان
ما النون يا صاح ترى والكاف … فالخلق درٌّ وهما اصداف
انَّ الذي ظنهما حرفي هجا … مستوجبٌ من ذي الحجى كل هجا
هل كافل بالارض والسماءِ … يا عميُ حرفان من الهجاء
تفهموا يا قوم ما الحرفان … ان نجاة المرء بالعرفان

ما فاعل العالم كالمفعولِ كلاَّ ولا الحامل كالمحمول
والكاف والنون اللذان انتظما صنع الاله منهما والتحما
وعنهما يأتلف الوجود لمن هو المشاهد الموجود
انىَّ يكونـــــان من الموات وعنهما منابع الحياة
هما عظيمان فجدوا في النظر واستخرجوا من لجة البحر الدرر
فـــــالبحر لو ميّزتم بحرانِ فواحـــد قـــد قـــام للعيـــانِ
وواحد قد قام للبصائر وجوده وقف على الضمائر
فمدرك الافكار روحاني ومدرك الابصار جسماني
ذاك علوي وذا سفليٌّ ذاك سماويٌّ وذا ارضيٌّ
كـــلاهما مغرق من خـــاضـــه مورده من الردى حياضه
الاَّ الذي يركب في السفينة مدرعاً مدارع السكينة
والغرق اثنان فما للجسم قسم وما للروح ثاني القسم
والجسم تستغرقه البحار والروح تستغرقـــه الافكـــار
كل يريد للنجاة مركبا ان ناله فازَ والاَّ عطبا
كذلك المركب مركبانِ فمركب للجسم والجسماني
ومركبٌ للروح ينجي الروحَا مجاوزاً بالروح هذا اللوحا
الى فنـــاءِ ظلـــه المـــدود في دار خلـــــدِ وحمى سعودِ
اعظم به من عاصمٍ للمعتصم وعروة وثيقةٍ لا تنفصم
اذ لا ترى من امر ربي عاصما ولا ترى للظالمين راحما
من فئةٍ تخلفوا من حمقٍ عن مركب ينجيهم من غرق
فأصبحوا في قعر بحر طامي غرقى وأمواج ذوي التطام
لا تغترر بصحة الابدانِ ارواحهم تنحـــطُّ في النـــيرانِ
كم سالمٍ في جسمه ومهجته والروح من بحر الردى في لجته
فمن عدى اليوم سبيل الرشدِ من العمى يكون أعمى في غد
رمَت بهم يدُ الردى في هوَّة في الدين بل جهنم بالقوة

فسقطوا عن منهج الحقائقِ ... وشبهوا الخالق بالخلائقِ
فالخلق جسميٌّ وروحانيٌّ ... ذلكم بادٍ وذا خفيٌّ
فقائل قال تراه العين ... وهو لعمري وصمة وشينُ
من اجل ان رؤية الابصار ... مختصة بالجسم ذي الاقطار
وقائل قد قال لمّا دقّقا ... جداً وفي افكاره تعمّقا
ما ذاك الاّ قول ذي تضليل ... نراه لكن رؤية العقول
امعن حتى ما اتى بشيٍّ ... ولم يبين رشداً من غيٍّ
فالعقل للمرء اداة كالبصر ... ذا باطن فيه وهذا قد ظهر
فان جعلت نحوه سبيلا ... للعقل لم تجاوز التمثيلا
كلاهما يدرك بالمجانسة ... مقالة صحّت بلا ممارسة
وليس من جنس العقول الله ... يا قوم كي تدركه حاشاه
كما تعالى ان يكون كالصور ... مجسماً كما يلاقيه البصر
فالفرقتان اجتمعا مشبهه ... خباطتا عشواء جهل وعمه
ما جاوزت حد صفات البشرِ ... ونعت ارواحهم والصور
ذلك تشبيهٌ فما التوحيد ... وذاك تجسيد فما التجريد
ما القلم الجاري بما قد قدرا ... واللوح ماذا فعلى اللوح جرى
أقصبٌ ذلكم ام خشب ... ادرة ام فضة ام ذهب
ايعقلان ما سيكتبان ... ام يجهلان ليس يعقلان
سألتكم بالله قولوا ما هما ... فما ثوى ذو رتبةٍ مثواهما
اذ بين هذين وبين الحق ... ليس ترى واسطة من خلق
يا صدفاً ينشقُّ عن در الحكم ... رمزاً من الله بلوحٍ وقلم
ويا ضلال الهمجِ الرعاعِ ... في الدين عن مطارح الشعاعِ
للانجم الزهر وللأهلّة ... ادلة الحق شموس الملّة
قد ابتلوا بالخسف والصواعق ... اذ اصبحوا اتباع كل ناعقِ
ما العرش والكرسي يا اهل النظر ... عقلاً اريد ليس تقليد الخبر

ما العرش ثم العرش ممّا ذا خلق   قولوا فكم خلقٍ بذا الماء شرق
لا سيما اذ يحمل الرحمانا   من رد هــذا دفـــع القرآنـــا
ان كان رب العرش محمولاً له   كـان ضعيفـاً عنـد من اقلّـه
وان يك الرب لذاك حاملا   فالعرش اذ سميت قلت باطلا
فالعرش ما يحمل لاما يحمل   ذا النعت بالحامل جداً اجمل
هذا شنيع منه هذا اشنع   وذا فظيع منه هذا افظع
والذكر محفوظٌ باهل الذكر   والحق في ايدي ولاة الامر
والبحث من بعد عن الكرسي   باب مهم اذ ليس بالمنسي
اذ وسع السبع الطباق اجمعا   والارض ذات الطول والعرض معا
ما هو من شيءٍ وماذا صنعه؟   جوهره مــاذا ومــاذا نفعــه
ما النفع في عرفانه للعارف   والضر للقاعد عنه الواقف
ولم يقال انه لأكبر   من كل خلقٍ والجميع اصغر
سألتكم عن غرر البيان   لاخير في الدعوى بلا برهانِ
والقول قد يصبح ذا انبساط   في الكشف عن حقيقة الصراط
وكونه ممدداً على سقر   أحدّ من سيف ادقّ من شعر
امّا يقال كيف ذا الصراط   قولاً بقلـب ذي النهـى يلتـاط
اقصد حتى ممثولة دون المثل   ذا ابر النحل وهذا كالعسل
وانتهى القول للميزانِ   مميز النقصان والرجحان
يقـــال فيـــه انــــه ادلاهُ   نحو الثرى من السماء الله
معتبراً بذاك افعال البشر   وما اتاه الناسُ من خير وشرّ
فليت شعري لم لا نراه   اذ كان فيا بيننا مأواهُ
من لم يجد بداً من الميزانِ   مصححة للوزن كالوزان
كفاك منه آية للنقصِ   يكشف عنه النقص اي فحصِ
تطلبوا ميزان قسط قد وضع   يخبركم من جهة لا تمتنع
لكي تروا مصداق قول الله   وتلمسوا من ظلم اشتباهِ

فان قصر امركم في طلبه ... مجاوزاً لشرطه وموجبه
تكذيبكم لله فيما قاله ... جهلاً ولمّا تعلموا امثاله
او دفعكم عقولكم بالراح ... وزيغكم عن حقها الصراح
والعقل قد ميزكم عن بهم ... راعية في الارض صم بكم
وان ديك العرش ذو شأن عجب ... قد لزم السؤال عنه ووجب
قالوا عظيم هو اذ نعاينه ... ففي تخوم ارضنا براثنه
والرأس تحت العرش يرويه الاثر ... له جناحان كما جاء الخبر
قد وفيا بالشرق والغرب معا ... ذا مغربا نال وهذا مطلعا
ودأبـــه ترصـــد الاوقـــات ... من قبـــل الاذان للصـــلاة
حتى اذا ما حان وقت اذنا ... مذكراً وواعظاً لمن ونا
وموقظاً من رقدات غفلته ... وداعياً نحو الهدى من ضلته
فعنده تجيبه الديوك ... طريقه لديهم مسلوك
يا امة قد عدمت تبيانها ... اذ جعلـت دليلهـا عميـانهـا
ما الله بالمطفيء نور العقل ... كلاًّ ولا الموقد نار الجهل
فاسعوا الى حريم بيت آمن ... قد حفَّ بالسعد وبالميامن
تنزيله أيّد بالتأويل ... وشرعه زيّن بالمعقول
يستخلـص الارواح من ظـلامهـا ... ويخرج الثمار من اكمامها
تروا شموساً للبيان بازغة ... ونعمة خصت وعمت سابغة
وحكمة تشفي الصدور بارعة ... ورحمة تحيي القلوب واسعة
منهل علم ماؤه يشفي الصدى ... ومـا عـدا قولهم فهو الصـدى
حمى النبي والوصي حيدره ... والعترة الطاهرة المطهّره
المنشرون ميت العظام ... بـالمنن الفـائضـة العظـام
الأولون الآخرون في الكرم ... والظاهرون الباطنون في الامم
قـد ظهروا في العـالم العلوي ... بما لهم من خطر علي
وبطنوا في عالم الاجسام ... حقاً باقدارهم الجسام

زاحمهم في حقهم اوضاع ... فضيعوا حقهم وضاعوا
وزلزلوا في دينهم زلزالا ... وحملوا مع ثقلهم اثقالا
وغشيت دارهم الظلماءُ ... وعميت عليهم الانباء
فما ترى لمشكل تنبها ... منهم ولا لحكمة توجها
وقول لم عنـــدهم رزيّـــة ... فمن اتى يسأل عن لمية
اغروا به السقاط والجهالا ... وحللوا منه دماً ومالا
لانهم بعزلها تقلدوا ... ومقعداً ليس لهم قد قعدوا
وحكمها لو جدَّ يوما بهم ... رأيت كم جفّ لسان في فم
حتى ترد ما لديها عارية ... امة سوء من هداها عارية
من حق آل المصطفى والمرتضى ... اليهم بالرغم منهم لا الرضى
طوبى لمن اخلص في التوحيد ... تبصراً من جهة الحدود
وهم اولو الامر ائمة الهدى ... عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الامم ... قاطبة من عرب ومن عجم
اقرأ اطيعوا الله والرسولا ... ثم اولي الامر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة ... في ايـــة واحـــدة منظومـــة
من قال في واحدة تفنيدُ ... فانه لربه عنيدُ
كل على الاطلاق والعموم ... حتم على المجهول والعليم
ما لولاة المدن في ذاك ارب ... كلاً ولا للفقهاء من نشب
مع كونهم في فتنةٍ صمّاء ... للخلف في الآراء والاهواء
فهم جميعاً للمعاصي والزلل ... معرضون للخطايا والخطل
وانما الطاعة للاطهار ... آل النبي الصفوة الابرار
آل الرشاد والتقى والعصمة ... ائمة مـــا قـــارنتهم وصمـــة
جرى بها لفظ الكتـاب واتسق ... يخبر عن عمومها على نسق
كطاعة الله على خليقته ... والمصطفى على جميع امته
في كل عصر منهم امام ... لا يهتدي الاّ به الانام

يموت من يعرفـــه مرضيّـــا   والمنكر الجـاهـل جـاهليّـا
يؤم في الصوم وفي الصلاة   ويكفل التطهير بالزكاةِ
يخرج عن غرِ المعاني كنزا   يزيل لبساً ويحلُّ رمزا
كنز العلوم عنده مفتاحه   فالحق منه زاهر مصباحه
دعوته قائمة في العالم   عالية ظاهرة المعالم
له المقام والصفا والمشعر   وسيفه بين الاعادي مشهرُ
تأملوا من هذه الاعلام   توجد فيه فهو الامام
اجل هو المستنصر المنصور   مولىً به بيت الهدى معمور
ابو تميم خير نسل فاطم   نجل الامام الظاهر بن الحاكم
ومعدن العدة في المعاد   ورحمة الله على العباد
صلىّ عليه الله ما نامِ نما   روضاً ومن صوب الغمام ابتسما
لابن ابي عمران في الموالي   نظمٌ كنظم الـــدر والـــلآلي
مسائـــل تجمعهـــا قصـــائـــد   قصـــائـــد لكنهـــا مصـــائـــد
مصـــائـــد لراغـــب مسترشد   مصـــائـــب لكـــل عـــاتٍ معتـــدِ
أبلـــغ من صميم قلـــب القـــالي   بـــالقول مـــا لا تبلـــغ العوالي
بحججٍ منيرةٍ كالشهبِ   بعيـــدةٍ من . الخنـــا والكـــذب
مـــا راعني من ذي وعيـــد صوت   من بعـــد مـــا هـــان عـــليّ الموتَ
ريحـــانـــتي الموت وبـــاب أمني   اذ كنت أرجو مخلصي من سجني

THALĀTH RASĀʾIL

ISMĀʿĪLIYYAH

EDITED BY

Dr. ʿĀRIF TĀMIR

Dar al-Afaq al-Jadida BEIRUT-LEBANON



THALĀTH RASĀ'IL

ISMĀ'ĪLIYYAH